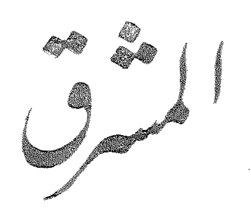


مجلّة كاثوليكية تصدر مرّة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الثانية عشرة

١٩٠٩

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S[t] Joseph

Paraissant une fois le mois

en un fascicule de 80 pages grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

DOUZIÈME ANNÉE

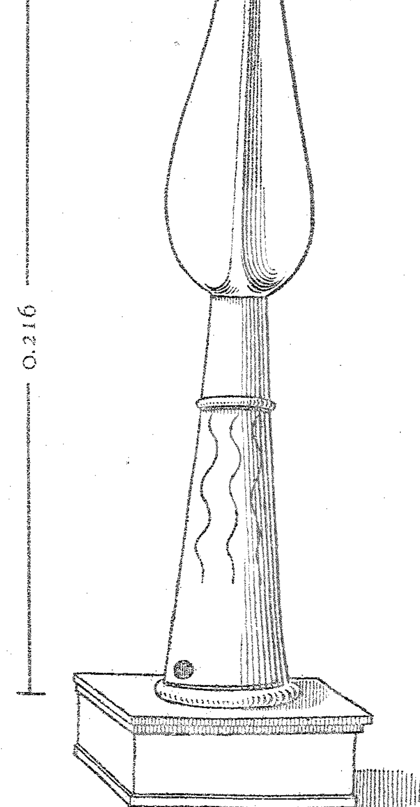
1909

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

وبينهم فخرجت بلاد الشام عن حكم ملوك بوزنطية فكثير من ذخائر اورشليم الثمينة نُقلت الى القسطنطينيَّة لئلَّا تبقى معرَّضة لاهانة غير المؤمنين وكانت الحربة من جملة هذه الذخائر. واخر من رآها في اورشليم الزائر الفرنسوي اسطفان أركُلف نظرها سنة ٦٧٠ في كنيسة القبر المقدَّس. امَّا الزوَّار الذين أتوا بعدهُ فلم يذكروا تلك الذخيرة في القدس الشريف بل يجعلونها في جملة الذخائر الكرَّمة في القسطنطينيَّة وشهادتهم متواصلة الى الفتح القسطنطيني فتكون تلك الحربة التي اهداها السلطان هي نفسها الذخيرة الاورشليميَّة وهي اليوم من ذخائر رومية الخطيرة (وهذه صورتها)



صورة الحربة المقدَّسة في رومية

وما يزيد هذه الرواية صحَّة انَّ الزوَّار يتفقون في وصف الحربة فيقولون انَّ سنانها الرفيع اي نَصْل رأسها هو مكسور (كما ترى في صورتها) ولهذا السنان خبر متواتر يرتقي الى القرن السابع فانَّ الفرس لمَّا فتحوا اورشليم سنة ٦١٤ وضبطوا كل جواهر خزائنها واخذوا الصليب المقدَّس الذي كان فيها وجدوا ايضاً هذا السنان مكسوراً فطلبهُ الكنت نيكيتاس ونالهُ من احد ضبَّاطهم فنقلهُ الى القسطنطينيَّة كما اخبر صاحب التاريخ الفصحي (Chronicon Paschale) في اخبار تلك السنة. فبقي السنان في

القسطنطينيَّة الى ان فتحها الفرنج سنة ١٢٠٤ فاهداه ملكهم بغدوين لملك فرنسة القديس لويس التاسع فجعلهُ القديس مع ذخيرة الاكليل المقدَّس في كنيسة شيَّدها لهذه الغاية وبقي السنان في تلك الكنيسة الى الثورة الفرنسويَّة ففُقد. ويقال انَّ هذا السنان عُرض قديماً على الحربة التي في رومية فوُجد على قياسها تماماً

هذا ما لخَّصناهُ عن مقالة واسعة كتبها احد كبار الاثريين الكنت دي ميلي (F. de Mély) في جريدة الصناعة المسيحيَّة (Revue de l'Art chrétien, 1877)

وهناك تفاصيل على حربات أُخرى مقدَّسة تُكرم في بعض البلاد كالحربة الموجودة في كنيسة اجميازين الارمنيَّة الغريغوريَّة والحربة المكرَّمة في ڤيانَّة عاصمة النمسة والحربة التي اكتشفها الصليبيُّون في انطاكية (اطلب تاريخ الدول لابي الفرج ابن العبري طبعة الاب انطون صالحاني ص ٣٤١) وما يوجد من العلاقات بين هذه الآثار. فنكتفي بالاشارة اليها خوفاً من الاطالة

امَّا الاسفنجة المقدَّسة فان ذكرها قليل في الروايات التاريخيَّة فيصعب بيان صحَّتها وليس ببعيد انَّ ملوك الروم الذين كانوا يحرصون على مثل هذه الذخائر اتوا بها من القدس الشريف والله اعلم

عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

نظر انتقاديّ للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّا في اسفارنا المتعدّدة الى الشام ومصر وما بين النهرين والعراق والهند كما ايضا في مطالعاتنا المتواترة في خزائن كتب اوربَّة الغنيَّة بالآثار الشرقية كباريس ولندن ورومية وليدن كثيراً ما كنَّا نقف على نسخ معاهدات كتب بعضها — كما قيل — نبيّ الاسلام الى فرق النصارى ويُنسَب بعضها الآخر الى الخلفاء الراشدين ولاسيما ابا بكر الصديق وعمر بن الخطَّاب فكنَّا نسرع الى نقل تلك الآثار لما نجد فيها من اسباب الأُلفة والاتحاد بين اهل الاوطان على اختلاف الاديان. حتى حصل لنا منها بضع عشرات وكانت غايتنا ان ننشر يوماً تلك الآثار اذا ما سادت حرّيَّة المطبوعات اذ علمنا حق العلم انَّ الحكم السابق كان يرى في تلك الابحاث خطراً وهمياً لا ندري ما هو

ولمّا أُعلن بالدستور في العام الماضي عدنا فوجّهنا الالحاظ الى تلك الآثار فامعنّا فيها النظر وقابلنا بين النسخ التي حصلنا عليها فاذا بعضها يختلف عن البعض الآخر في المعاني والالفاظ والزيادة والنقصان مع استقائها من مورد واحد ورجوعها الى مصدر فرد لم يمكنا ان نقف عليهِ. فبقينا مرتابين في الامر لا يسعنا ان نحكم فيهِ حكماً فصلاً. وبينا نحن نطلب للمشكل فضّاً وللعقبة ممرّاً اذ ارسلت بطركخانة الارمن الكاثوليك في الاستانة نسخةً من عهد آخر نشرته في دار السلام الجرائد الارمنيَّة فاوردتهُ جريدة الاحوال في عدد ٤٨٩٣ الصادر في ٢٦ شباط من السنة الجارية

وما لبثت مجلّة روضة المعارف بعد زمن قليل حتى روت في عددها الثالث عشر من سنتها الاولى (ص ٢٨٩ — ٢٩٥) عهدة محمديّة اخرى للملّة النصرانية صدّرتها بكلام لطيف تحضُّ فيهِ العناصر العثمانيَّة على الوفاق والاتحاد عنونتها بهذا العنوان «لا خوف ممّا يتوهّمون» فاسرعت الجرائد المحليَّة الى نقلها . وها نحن نثبتها قبل ان ننتقد على صحّتها (١

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذه صورة العهد والميثاق والشروط التي شرطها محمد رسول الله صلّى الله عليهِ وسلّم لاهل الملّة النصرانية وعليهم والرهبان والاساقفة باملائه لمعاوية بن ابي سفيان يومئذٍ بشهادة الصحابة ممن حضر المكتوبة اسماؤهم ادناه وكُتب بالمدينة عام تاريخهِ بذيله) :

«كتبه محمد رسول الله الى الناس كافة بشيراً ونذيراً على وديعة الله في خلقه لتكون حجة الله سجل دين النصرانيَّة في مشرق الارض ومغربها وفصيحها واعجمها وقريبها وبعيدها ومعروفها ومجهولها كتاباً جعلهُ عهداً مرعيّاً وسجلّاً منشوراً ووصية منهُ

(١) ولعلّ هذه النسخة هي التي رأيناها في بيت احد وجوه الروم الكاثوليك في البلدة كُتبت ... تاريخها من نيّف ومائتي سنة

تقيم فيهِ عدله وذمّة محفوظة فمن رعاها كان بالاسلام متمسكاً ولما فيهِ متأهلًا ومن ضيّعها ونكث العهد الذي فيها وخالفهُ الى غير المؤمنين وتعدّى فيهِ ما امرتُ بهِ كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقهِ ناقضاً وبدينهِ مستهيناً سلطاناً كان او غيره من المؤمنين او المسلمين

«وقد بدأتُ بالعهد على نفسي والميثاق الذي يسألون عني وعن جميع اهالي الكاملين من المسلمين بان اعطيهم عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ورسلهِ واصفيائهِ واوليائهِ من المؤمنين والمسلمين في الاولّين والآخرين وذمتي وميثاقي اشهد ممّا اخذ الله على نبيٍ مرسلٍ او ملك مقرّب من حق الطاعة وايتاء الفريضة والوفاء بعهد الله ان احوط قاصيَهم في ثغوري بخيلي ورجلي واعواني واتباعي من المؤمنين في كل ناحية ونواحي العدوّ بعيداً ام قريباً سِلماً كانوا ام حرباً وان اؤمنهم واذبّ عنهم وعن كنائسهم وبيعهم ومصلّاهم ومواضع الرهبان منهم ومواطنهم اي مقرّ السياحة حيث كانوا واين كانوا برّاً وبحراً في شرقٍ او غربٍ في جبل او وادٍ او مغارة او عمران او سهل او رمل او بناء. واحوط دينهم وملكهم حيث كانوا واين كانوا بما احوط بهِ نفسي وخاصتي واهل ملّتي من المؤمنين والمسلمين وان أُدخلهم في اماني من كل اذًى ومكروه ومؤونة وتبعةٍ. وان اكون من ورائهم رادّاً عنهم كل عدوّ يردني واياهم بنفسي واتباعي وأعواني واهل ملتي وانا ذو سلطة عليهم وبذلك يحسب عليَّ رعيهم وحفظهم من كل مكروه. وان لا يصل اليهم حتي يصل الى اصحابي الذآبين عن نصيب الامر. وان اعزل عنهم الاذى في المواد التي تحمل اهل العهد من العارية والخراج الّا ما طابت بهِ انفسهم ولا يكن عليهم جبرٌ ولا اكراه في ذلك. ولا يُنفى اسقف من اسقفيتهِ ولا نصراني من نصرانيتهِ ولا راهب من رهبانيتهِ ولا عن سياحتهِ ولا راهب عن صومعتهِ ولا يُهدم بيت من بيوت كنائسهم ولا يدخل شيءٌ في بناء المساجد ولا في منازل المسلمين . فمن فعل ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسول الله وخان ذمة الله

«وان لا يحمل الرهبان ولا الاساقفة ولا جميع من لم يلزم بثمنهِ الّا ان تطيب بذلك انفسهم وان لا تجاوز الجزية على اصحاب التجارات العظام في البحر والغوص واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة وذوي الاموال الجمة والقوة ممّن انتحل النصرانية اكثر من اثني عشر درهماً في كل عام اذا كان اهل الموضع قاطنين وبه

مقيمين. وانهُ ليس على عابر سبيل ولا قاطن البلد ولا اهل الاحسان مَّمن لا يُعرف موضعهُ الخراج ولا الجزية الَّا ان يكون في يده ميراث الارض ممن يجب عليهِ مال السلطان من حق فيؤدي ذلك على ما يؤدي مثله ولا يتجاوز عليهِ ولا يتحمَّل منهُ الَّا مقدار طاقتهِ وقوتهِ ومن يجوز الارض وعمارتها واقبال ثمرها لا يُكلَّف شططاً ولا يجادُ بهِ عن حدّ اصحاب الخراج من نظرائه. ولا تكلَّف اهل ذمة الخروج مع المسلمين الى عدوّهم وملاقاة الحرب ومكاشفة الاقران لانهُ ليس على اهل الذمة مباشرة القتال وانما أُعطوا الذمة ان لا يكلَّفوا ويكون المسلمون ذُبَّابًا عنهم محرزين من دونهم ولا يُكرهون على الخروج مع المسلمين الى الحرب التي يلقون فيها عدوَّهم ولا بقوَّة من سلاح وخيل الَّا ان يتبرعوا بهِ اليهم فيحمل على ذلك من تبرع بهِ وعرف لهُ ذلك وكفى عليهِ (؟)

« ولا يُجبر عليهِ احد ممن كان على ملة النصرانية من الاسلام كرهًا ولا يجادل الَّا بالتي هي احسن ويخفض لهم جناح الرحمة ويُكفّ عنهم الاذى والمكروه حيث كانوا واين كانوا. وان جرَّ احدٌ من النصارى جريرة او جنى جناية فعلى المسلمين نصره ومنعهُ والذَّبُّ عنهُ والغرم عن جريرته والدخول في الصلح بينه وبين ما اصاب منا عليهِ واما فدائه يفادى بهِ ولا يخذلون ولا يرفضون ولا يتركون مهملًا على اني اعطيتهم عهد الله انَّ لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وللمسلمين ما لهم وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبهُ حقّ الرعاء والذَّب عن الحرمة بهِ استوجبوا ان يذَبَّ عنهم كل مكروه ويدخل لهم في كل مرفق حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم. وان لا يحمل من امر النكاح شططًا لا يراد دونهم ولا يكرهوا اهل البنت منهم على تزويج المسلمين ولا يضادُّوا في ذلك ان منعوا خاطبًا او ابوا تزويجًا فان ذلك لا يكون الَّا بطيب انفسهم ومساحة اهوائهم ان احبُّوه ورضوه. واذا صارت النصرانية عند (عند) المسلم فعليه ان يرضى هواها في دينها من الاقتداء بروسائها والاخذ بمعالم دينها ولا يمنعها في ذلك ولا يكرهها على تركها ولا يضادها في رفض دينها وان فعل ذلك واكرهها عليهِ فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله وهو عند الله من الكاذبين. ولهم ان احتاجوا الى مرمَّة كنائسهم او صومعتهم او شيء من مصلحة دينهم الى رفد من المسلمين او معونة على مرمَّة ان يُرفدوا على ذلك ويعاونوا ولا يكون ذلك دَينًا بل

معونةً لهم على مصلحة دينهم ووفاءً لهم بعهد رسول الله هبة وموهبة لهم ذمَّة الله وذمة رسول الله عليهم ولهم ولا يُكره احد منهم ان يكون بين المسلمين ولهم عدوٌّ وقالوا له كن رسولًا او دليلًا او مسخَّرًا او في شيءٍ مما يقوَّم الحرب فمن فعل ذلك باحد كان ظالمًا ولرسول الله عاصيًا ولوصيتهِ مخالفًا

« هذه الشروط التي شرطها محمد رسول الله لاهل الملة المسيحية وشرط عليهم في دينهم امورًا وفي ذمتهم عليهم التمسك بها والوفاء بما عاهد عليهم. منها ان لا يكون احد منهم معينًا لاحد من اهل الحرب على احد من المسلمين في سرّ ولا في علانية ولا يوقى في منازلهم عدوٌّ لمسلم ولا ينزل اوطانهم ولا شيء في مساكن عبَّادهم ولا غيرهم من اهل الملة. ولا يرفدوا احدًا من اهل الحرب على المسلمين بقوَّة من عارية السلاح ولا الخيل ولا الرجال ولا يستودعوا لهم مالًا ولا يكاتبوهم ولا يضيفوهم الَّا ان يكونوا في دار بقية يذُبون فيها عن انفسهم وعن دمائهم ورعاية دينهم. ولا يمنعوا احدًا من المسلمين قرى ثلاثة ايام ولياليها لانفسهم ولدوابهم حيث كانوا وحيث ارادوا ويبذلون منهُ القرى الذي منهُ يأكلون ولا يكلَّفوا زيادة عن ذلك فيحملوا الاذية عليهم والمكروه. فان احتيج الى اختفاء احد المسلمين في منازلهم وموطن عمارهم ان يودُّوهم ويرفدوهم ويواسوهم عمَّا شق بهِ ما كانوا مختفين اذا كتموا عنهم ولم يظهر العدو على عودتهم ولم يبخلوا بشيء من الواجب عليهم. في ذلك فمن نكث منهم شيئًا من هذه الشروط وتعدَّاها الى غيرها بريءٌ من ذمة الله وذمة رسوله

« عليهم بتلك العهود والمواثيق التي اخذت على الاحبار والرهبان والنصارى من اهل الكتاب واشهد على امتهِ من الايمان والوفاء بذلك اين كانوا وحيث كانوا وعلى رسول الله الوفاء بما جعل لهم على نفسه وعلى المسلمين رعاية ذلك لهم ومعهم بهِ حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا. واشهدوا (؟) على هذا الكتاب الذي كتبه محمّد رسول الله بين النصارى الذي اشترط عليهم وكتب لهم هذا العهد:

ابو بكر الصديق. عمر بن الخطاب. عثمان بن عفان. عليّ بن ابي طالب. ابو معاوية بن ابي سفيان. ابو درداء. ابو ذر ابو برده. عبد الله بن مسعود. عبد بن العباس. حمزة بن عبد المطلب. فضيل بن عباس. الزُبير بن العوام. طلحة بن عبد الله. سعد بن معاذ. سعد بن عبادة. ثابت بن قيس. يزيد بن ثابت. عبد الله بن يزيد. حرفوش. زيد بن ارقم. أساف بن يريد.

سهل بن بيضاء . عثمان بن مظعون . داود بن جبير ابو العالية . عبد الله بن عمر . العاصي ابو حنيفة . ابن عسير . ابن ربيعة . عمّار ابن ياسير . هاشم بن عصيه . حسن بن ثابت . كعب بن كعب . كعب بن مالك . جعفر بن ابي طالب . (رضوان الله عليهم جميعهم) . كتبهُ معاوية بن ابي سفيان باملاء رسول الله يوم الاثنين في ختام اربعة اشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة (على صاحبها افضل السلام) وكفى باسمهِ شهيدًا على ما في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين

☆

فهذه هي العهدة التي روتها روضة المعارف وكان من شأنها ان تُصدّرها بكلام وجيز تثبت فيهِ اصلها وتشير الى قدمها وتنفي عنها كل شبهة التقليد كما اعتاد ذلك الأثريون وكما يفعل كتبتنا كلّما نشروا اثرًا قديمًا في المشرق. امّا الروضة فآثرت السكوت عن هذه الافادات ويا ليتها لم تفعل فاضطرّتنا الى هذا البحث الانتقادي فنقول: انَّ هذا العهد من الآثار المصنوعة التي لا يمكن اثباتها الى نبيّ الاسلام وغاية ما نتمنّى أن يقوم بين المسلمين احد العلماء فيبطل زعمنا فنقرّ بغلطنا شاكرين لفضل المنتقد. امّا الاسباب التي تحدو بنا الى جحود هذا الأثر فهي الآتية:

اوّلًا راجعنا كتاب ابن سعد في كتب النبيّ ووفاداتهِ وهو اقدم ما ورد في هذا المعنى وكان ابن سعد كاتبًا للواقدي في اواخر القرن الثاني للهجرة فنقل في كتابهِ ما وقف عليهِ في كتب اسلافهِ الضائعة كابن الكلبيّ والمدائنيّ. فلم يروِ انَّ محمّدًا كتب عهدًا للملّة النصرانية اجمالًا او لاحدى طوائفها المعروفة في عهدهِ كالملكيّة او النسطوريّة او اليعقوبيّة. فكفى بسكوتهِ دليلًا على انَّ هذا الاثر كان مجهولًا في وقتهِ لا يعرفهُ المسلمون

ثانيًا كذلك لا ذكر لهذه العهدة في السير المحمّديّة واخبار الرسول التي كتبها المسلمون كابن هشام وغيرهِ ولو كانت هذه العهدة صحيحةً شائعة الذكر عرفها اصحاب محمّد وانصارهُ ووقّعوا عليها اسماءهم كما يقال لمَا فات امرُها اولئك الكتبة ما لم يزعم الزاعم انّهم اخفوا امرها قصدًا وهي تهمة لا يجوز التقريع بها الّا بالدليل

ثالثًا ومثلهم المؤرخون الاقدمون كالطبري وكتبة الفتوحات والمغازي كالازدي والبلاذري وكلُّهم يظهرون التدقيق فيما يروون ويثبتون اقوالهم بالاسانيد المتواترة فلا احد منهم ينوّه بميثاق اعطاهُ رسول الاسلام للملّة النصرانية جمعاء

رابعًا بل لا ينطبق هذا العهد مع احوال نبيّ الاسلام فانّهُ لمّا توفي في السنة

العاشرة للهجرة لم تكد العرب تخرج من حدود جزيرتهم فانَّ الفتوحات الكبيرة كالشام ومصر والعراق والعجم انّما جرت في زمن خلفائهِ فلا يقبل العقل السليم والانتقاد الصادق انّ محمّدًا يكون كتب مذ ذلك الحين «سجل دين النصرانيّة في مشرق الارض ومغربها وفصيحها واعجمها وقريبها وبعيدها ومعروفها ومجهولها كتابًا جعلهُ عهدًا مرعيًّا وسجلًّا منشورًا الخ» لكل بلاد النصرانية وكثير منها لم يدخلها العرب

خامسًا وزد عليهِ انَّ الكتب المرويّة عن نبيّ الاسلام كلّها موجزة قليلة الالفاظ بخلاف هذا العهد الذي اتّسع فيهِ الكاتب وفصّل تفصيلًا زادنا ريبًا في صحّتهِ

سادسًا ولنا دليل آخر على عدم صحّة هذا الأثر وهو انّنا لا نجد لا في معاهدات الخلفاء مع النصارى ولا في براءات السلاطين اليهم ما يدلّ على معرفتهم بهذا الأثر الجليل ولو عرفوهُ لأشاروا اليهِ لا محالة وبنوا عليهِ معاهداتهم وما خالفوهُ في مضامينهِ في معاملاتهم للنصارى. وكل ذلك ينقضهُ التاريخ

سابعًا ومن الادلّة المثبتة لقولنا انَّ نسخ هذا العهد التي اطّلعنا عليها مع كثرتها حديثة لا يتجاوز عهد كتابتها ثلثمائة او اربعمائة سنة ولو كان أصلها يرتقي الى اوائل الاسلام لحُفظت كأثر نبويّ وذخيرة ثمينة في خزائن السلاطين فوصفها الأثريون وصفًا مدقّقًا

ثامنًا ويظهر من المقابلة بين النسخ الباقية الى يومنا بانَّ هذا العهد مصنوع. ولبيان هذا الامر قطعيًّا كان ينبغي لنا ان نثبت هنا تلك الصور المتعدّدة التي حصلنا عليها فيرى القرّاء ما فيها من الاختلاف الّا انَّ هذا يطول بنا ويقتضي صفحات عديدة من المجلّة فنكتفي بايراد مقاطيع من بعضها دلالةً على قولنا. فمن هذه العهود عهد وجدناهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا قيل في آخرهِ انهُ خُطَّ عن احدى النُّسخ الثلاث «التي كتبها عليّ بن ابي طالب باملاء محمّد الرسول سنة اثنين بعد الهجرة» واحدى النسخ في خزينة السلطان والثانية بدير الطور في سينا والثالثة في ايدي رهبان جبل الزيتون (1) فهذا اوّلهُ:

هذا عهد الله لكافة النصارى ولسائر الاماكن النصرانية حفظًا منا ورعاية لنجاتهم لانهم وديعة

(1) وقد وجدنا في تاريخ الكنيسة الانطاكية للخوري ميخائيل غبريل نصًّا قريبًا منهُ (ج ١ : ٥٨٨)

الله بعده في خلقهِ ليكون حجّةً لهُ عليهم ولا يكون للناس حجّةٌ على الله بعدهُ وجعل ذلك ذمّةً منهُ وحفظاً لامر الله العزيز الحكيم كتبهُ وامر سائر المولّين الامور من اهل ملّتهِ بعدهُ ان يمتثلوهُ ويعاملوا بهِ كل من انتحل دين النصرانية ودعوا بها من مشرق الارض ومغربها وقبليها وبحرها وقريبها وبعيدها وعربيّها وعجميّها ومعروفها ومجهولها عهداً منهُ وسنّة لهم ليحفظوها ويراعيها كل المتولين الامور ممّن هو بالامور متمسكاً ولطاعة الآمر تابعاً ومستأهلاً ومن نكثها وتعدّاها وخالفها وضيّع عهد الآمر بهِ وغيّرهُ وفعل بخلاف ما رسم بهِ الآمر كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقهِ ناقضاً وبذمتهِ مستهيناً وللعنتهِ مستوجباً . . .

وهكذا بقيّة العهد يتّفق مع نصّ روضة المعارف في اشياء ويختلف في اشياء فيظهر انّ النسّاخ تصرّفوا في الكتاب كيفما شاؤوا حتى لا تكاد تجد سطرين ينطوق واحد . وكذلك اسماء المسجلين تختلف وفيها التقديم والتأخير والتصحيف والتحريف

ولدينا نسخة اخرى من هذا العهد اقدم من السابقة نقلناها عن كتاب مخطوط يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث عشر فيهِ تواريخ النصارى لاحد النساطرة. وهذا الكتاب قد باشر بنشرهِ رئيس اساقفة سعرت السيّد ادي ابرهينا شير الكلداني الجزيل الاحترام فهناك يقال انّ ثلاثة من اصحاب محمّد طلبوا منهُ سجلّاً يكون كعهدٍ للسيّد بن الحارث بن كعب صاحب نجران ولجميع اهل النصرانيّة فكتب لهم هذا العهد وهو يُشبه العهدين السابقين في اشياء ويخالفها في غيرها . دونك اوّلهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبهُ محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الى الناس كافةً بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقهِ ولئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل والبيان وكان الله عزيزاً حكيماً

للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملّتهِ ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الارض وغربها الخ

وهذه قطعة من هذا الاثر القديم تقارب نصّ روضة المعارف وتصلحهُ في اشياء :

وانا أُدخلهم في ذمّتي وميثاقي واماني من كلّ اذى ومكروه ومؤونة وتبعة وان اكون من ورائهم ذابّاً عنهم كل عدوّ يريدني وايّاهم بسوء بنفسي واعواني واتباعي واهل ملّتي وحفظهم من كل مكروه ولا يصل ذلك اليهم حتى يصل اليّ واصحابي الذابين عن بيضة الاسلام وان اعزل عنهم الاذى في المؤن التي يحتملها اهل الجهاد من الغارة (كذا) والخراج الّا ما طابت بهِ انفسهم وليس عليهم اجبار ولا اكراه على شيء

وعندنا صورة رابعة للعهد المحمّدي ينتحلها اليعاقبة فيزعمون انّ محمّداً اعطاها

جبريل مطران الطائفة السريانية لهم ولنصارى الاقباط . ونسختنا منقولة عن نسخة خطيّة كوفيّة تُنسب الى معاوية محفوظة في دير السريان اليعاقبة الشهير المسمّى بدير الزعفران بقرب ماردين تبتدئ هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم . نسخة العهد الموهوبة من نبيّ الله محمّد لطوائف النصارى القبط والسريان اليعقوبية بمصر واقاليمها وفي كل مكان من اقطار الارض . هذا عهد منّي الى سكّان جميع النواحي من السريان والقبط حفظاً لميثاقهم ورعايةً لاجل الله عزّ وجل لانهم وديعة الله في ارضهِ ومحافظين لما انزل عليهم في الانجيل والزبور والتوراة لا يكون لهُ الحجّة عليهم من قبل الله تعالى وصيةً منهُ وحفظاً عليهم بامر الله العزيز الحكيم اذ امر معاوية بقولهِ : اكتب لهم هذا العهد مني ليطلعوا عليهِ سائر المسلمين والمتولين للحكم من الامراء والوزراء والسلاطين والعلماء والفقهاء من الملة الاسلامية العاملين بوصيّتي . . .

ثم يتبع نصّ العهد كما في العهود السابقة مع اختلافات عرضية في العبارة وبعض ايضاحات وزيادات . وهذا مثال منهُ نأخذهُ من ختام العهد :

ومن خالف شيئاً من هذه فقد خان عهد الله وميثاقهُ وما امرنا بهِ كان لهُ ناسخاً ومخالفاً (؟) وقد صار بيد الرهبان امانةً منّي اليهم ان لا يكون عليهم مكروه ولا مظلمة اينما كانوا واينما حلّوا في المدن والقرى لما قرّرت لهم عليّ ومن جميع المسلمين من الرعاية بهم والرأفة والاحسان والرحمة والعناية بهم والوفاء بما ذكرناهُ من العهد الذي عهدناهم بهِ الى انتهاء الدنيا ليوم القيامة ولا احد من امتي يتعارض للنصارى بسبب ضرب الناقوس لانّ الناقوس ضُرب بسفينة نوح نبيّ الله عليهِ السلام ومن نقض وعمل بخلاف الشروط ولا سمع كلامي وظلم ذمياً اكون خصمهُ يوم القيامة . . . .

امّا العهد الذي يقال انّ محمّداً عاهد بهِ الارمن فانّ صورتهُ قريبة من صورة العهد اليعقوبي السابق ذكرها الّا في بعض قطعها ولا حاجة الى نقل شيء منها بعد ان نشرتها جريدة الاحوال

تاسعاً ثم انّ في اسم كاتب هذا الاثر المصنوع دليلاً آخر على كذبهِ فانهُ يقال ان كاتبهُ معاوية بن ابي سفيان في السنة الرابعة من الهجرة في المدينة . ومعاوية لم يرافق نبيّ الاسلام الى المدينة وانّما بقي معادياً لمحمّد الى يوم الفتح اي السنة الثامنة للهجرة فاسلم مع ابيهِ فكيف امكنهُ ان يكتب لمحمّد وهو ليس من اصحابهِ بل عدوّاً لهُ

عاشراً وكذلك اسماء الموقّعين على هذا العهد فبعضها مصحّف كحسن بن ثابت يريدون حسّان الشاعر . وبعضها لاصحاب كانوا ماتوا في الوقائع السابقة كحمزة . وبعضها

ممَّن لم نجد لهم ذكرًا في كتاب أُسد الغابة لابن الاثير وتهذيب الاسماء للنووي كاساف ابن يزيد

حادي عشر واخيرًا يبطل صحّة هذا العهد تاريخهُ الهجري فانَّ هذا التاريخ لم يستعمل الَّا بعد وفاة محمد

لا نظنّ بعد هذه البراهين المتعددة انهُ يبقى لاحد ريب في كذب هذا العهد وان سُئلنا عن واضعه اجبنا انَّ صاحبهُ مجهول ولعلَّهُ احد رهبان النساطرة في القرن العاشر صنَّفهُ مقلّدًا فيهِ بعض اقوال محمّد والخلفاء الراشدين ترويجًا لبضاعتهِ ثم انتحى بهِ غيرهُ وخصُّوا العهد بطوائفهم وتصرَّفوا فيهِ

ومن المحتمل انَّ رهبان طور سينا كانوا اوَّل من اخذ عهدًا من نبيّ المسلمين لما ادّوهُ لقومهِ من الخدم في بعض غزواتهم. وممَّا يُخبر انَّ السلطان سليمًا بعد فتح مصر وجزيرة العرب وقف على عهد بالكوفية زعم الرهبان انهُ من محمد فاستوهبهُ منهم ووضعهُ في خزانة السلاطين العظام والى يومنا لا يعرف من امرهِ شيء. وفي مكتبة الاقباط في مصر نسخة من هذا الاثر تقرب من العهود التي وصفناها لكنَّها اقصر منها. وفي آخرها يُقال أنها «كُتبت بيد علي بن ابي طالب في ٣ محرَّم السنة الثانية للهجرة الموافقة لاوَّل آب سنة ٦٢٢». وكفى بذلك دليلًا على اصطناعها (لهُ بقيَّة)

الكتابات العربية في جبل الطور

ملخَّص بتصرُّف عن مقالة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

في اليوم السادس من شهر آب ترفع كنيسة المسيح شرقًا وغربًا نظرها الى الجبل العالي الذي تجلَّى على مشارفهِ الكلمة ابن الله فاراد ان يُعلن لبعض تلاميذهِ ما كان يحجبهُ عن ابصارهم من المجد الباهر والعزّ القاهر. على انَّ الانجيليين الذين ذكروا هذا الحادث الجليل لم يفيدونا اسم الجبل الذي جرت عليهِ تلك المظاهر الفخيمة. لكنَّ الغالب على اراء الكتبة الكنسيين منذ قرون النصرانية الاولى انَّ الجبل المنويّ انَّما هو جبل تابور المعروف ايضًا بجبل الطور

وهذا الجبل ينتصب في اواسط بلاد الجليل مفترزًا عنها على صورة قبَّة عظيمة احتلَّ العليّ في ظلالها او قلْ مذبحًا شريفًا أُقيم لتُرفع عليهِ التقادم والمحرقات لعزَّتهِ تعالى او بالحري عرشًا سنيًا تتلألأ فوقهُ مجالي اللاهوت بتجلّي السيّد المسيح. وعلوّ هذا الجبل يبلغ ٥٠٠ متر فوق سهول مرج بني عامر فيكون ارتفاعهُ فوق سطح البحر ٦٠٠ م بنيّف قليل. ومن رقي الى اعلاهُ اكتشف من ثمَّ جبال الجليل وجبل حرمون وبحيرة طبريَّة وعدَّة مدن عامرة كانت في تلك النواحي. وهذا الجبل كثير الخصب تظلّل معاطفهُ انواع الاشجار المنبسطة الافنان كالشربين والسنديان والخروب والبطم وتأوي اليهِ طيور البرّ والوحوش الضارية يصطادها الصيادون. واما اعلى الجبل فينتهي ببسيط واسع طولهُ ١٢٠٠ متر كان يُرقى اليهِ بدرج منقور في الصخرة من لحف الطور. وقد بقي بعض آثار ذلك الدرج الذي كان يبلغ عدد مراقيه ٤٣٤٠ مرقاة

وقد ورد ذكر التابور في تاريخ بني اسرائيل غير مرَّة فأدخلهُ يشوع في تخوم ارض الميعاد وجعلهُ فاصلًا بين سبطي زابلون وايساخر. وعندهُ ظفرت دبورة باعداء قومها وأشاد صاحب المزامير بمفاخرهِ (مز ٨٨: ١٣) وشبَّه النبيّ ارميا (٤٦: ١٨) قدوم نبوكدنصَّر ورفعتهُ فوق الملوك بتقدُّم تابور على بقيَّة الجبال

وكان الفينيقيون واليونان يعرفون جبل الطور وهم يدعونهُ اتابيريون وكان الوثنيُّون يكرمون عليهِ المشتري ويدعونهُ المشتري التابيري. وأُقيمت في مشارفهِ مدينة حصينة في القرن الثالث قبل الميلاد استولى عليها بالدسيسة الملك هيرودس الكبير فاخربها. وقد نال ذلك الجبل فخرًا عظيمًا بتجلي السيّد المسيح فوقهُ كما يشهد على ذلك اوريجانس العلم واوسابيوس القيصري والقديس ايرونيموس وورد ذكرهُ في انجيل الاثني عشر رسولًا احد اناجيل الزور الراقي الى اوائل القرن الثاني للمسيح. وقد اقامت القديسة هيلانة في القرن الرابع كنيسة على قمّتهِ تذكارًا لهذا الواقع. وجُعل لتلك الكنيسة اسقف نُسب اليها في المجمع الخامس سنة ٥٥٣. وشُيدت بعد ذلك كنائس اخرى

وممَّا أخبرهُ يوسفيوس في العاديَّات اليهوديَّة ان اليهود اذ سمعوا بزحفة الرومان على بلادهم على عهد قسبسيان احاطوا جبل الطور بسور عظيم وتحصَّنوا وراءهُ لكنَّ الرومان اخربوهُ بعد قليل